إحسان

تزكية النفس.. وتصحيح المسار

كَيْفَ يُفَكِّرُ الْغَرْبُ فِي دعم التَّصَوُّفِ؟

الملك القدوس السلام
BEYOGLU KAPTAN-I DERYA KILIÇ AL
HAFTALIK PROGRAM TABL

فصول

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَقْدِمِي

كيف يفكر الغرب في دعم التصوف؟

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَقْدِي

المحور الأول: كيف يفكر الغرب في دعم التصوف؟

في عام 2007 نشرت مؤسسة RAND Corporation تقريرها الشهير بعنوان: "Building Moderate Muslim Networks" (بناء شبكات إسلامية معتدلة)، وجاء فيه ما يُشبه خريطة طريق استراتيجية للولايات المتحدة والغرب عموماً، حيث نصّ التقرير صراحة على: دعم الطرق الصوفية والمؤسسات الصوفية كأحد المكونات الأساسية لمشروع خلق "إسلام معتدل"، والترويج له بوسائل ثقافية وفنية وتربوية، على أن يكون غير مسيّس، مستعدًا للتعاون مع القيم الغربية، معزولًا عن التأثيرات الإسلامية الأخرى، وهذا المبدأ صار لاحقًا جزءًا من سياسات ثقافية وتعليمية غربية، وموّلت على أساسه برامج ومؤتمرات ومنح أكاديمية، وأُدرج ضمن خطط مثل: الشراكات الأمريكية مع المجتمعات الإسلامية (في عهد أوباما)، استراتيجية مكافحة التطرف العنيف CVE في أوروبا والولايات المتحدة.

محور الأخبار

الخبر الأول: مهرجان التصوف في غلاسغو / بريطانيا (يوليو 2025):

- **التحليل السياسي:** (واجهة القوة الناعمة الدينية): تدفع المملكة المتحدة، منذ 2015، باتجاه إيجاد "مكونات ثقافية إسلامية مندمجة"، ومن هنا يُموّل مهرجان "Sufi Festival" كمنصة لعرض "الإسلام الروحي" الذي يُناسب قيم الحداثة والتعددية.
- **رموز مختارة بعناية:** المشاركون مثل "Sukina Noor" و "Shaykh Babikir" هم وجوه صوفية تتحدث بلغة إنجليزية مرنة، لا تنخرط في نقد السياسات الغربية. أي: "إسلام بلا خصومة سياسية."
- **رؤية مؤسسة راند حاضرة:** وهي تعمل على الثقافة بدل العقيدة، الشعر والإنشاد بدل الجدل الديني، الاندماج بدل الخصوصية.
- **عزل عن التيارات الإسلامية :** لا يُدعَى لمثل هذه المهرجانات أي من التيارات التي تنتمي إلى مدارس نقدية أو سلفية. هذا التحييد المقصود يعكس هندسة موجهة للمشهد الديني.

الخبر الثاني :المؤتمر العالمي الثامن عشر للتصوف ـ المغرب (رعاية ملكية)

- **التحليل السياسي:** توظيف التصوف كـ"إسلام الدولة": تعد المغرب من أكثر الدول وضوحًا في تبني التصوف كمذهب رسمي موازٍ للملكية: "إمارة المؤمنين" + "المذهب المالكي" + "التصوف السني" = معادلة الشرعية السياسية والدينية.
- **التكامل مع الرؤية الغربية:** الدولة المغربية تُقدِّم نفسها للغرب ـ خصوصًا فرنسا وأوروبا ـ كحليف معتدل ضد الإسلام السياسي، مستندة إلى الشرعية الصوفية الرسمية.
- **توافق تام مع مبدأ "RAND":** المغرب يطبّق عمليًا ما دعت إليه مؤسسة راند وهو بناء مؤسسات علمية صوفية، دعم الزوايا، إقصاء السلفية من الإعلام الرسمي، استضافة مؤتمرات دعوية تُروّج لـ"الإسلام الملوكي الروحي."
- **الهدف السياسي الخفي:** ضبط المشهد الديني الداخلي، تصدير "النموذج المغربي" إلى الساحل وغرب إفريقيا، بتوافق مع السياسات الأمنية الفرنسية.
- **الخلاصة السياسية بالأرقام:** الصوفية تُستخدم استراتيجيًا في سياقين: (في الغرب: لتقديم "إسلام روحي آمن" عبر الفنون والثقافة.)، (في الدول العربية: لضبط المجال الديني وربطه بشرعية الدولة.)

تقرير مؤسسة راند (2007) لم يبقَ مجرد تحليل، بل تحوّل إلى خارطة تنفيذية:

- بناء شبكات إسلامية معتدلة.
- دعم التصوف كبديل عن الإسلام السياسي والسلفي.
- الاستثمار في الرموز الصوفية القابلة للتطويع الإعلامي والسياسي.
- مهرجان غلاسغو يُجسد التطبيق الغربي للتصوف:
- عروض فنية وشعرية وإنشاد روحي.
- استبعاد أي خطاب ديني صريح أو نقدي.
- الترويج لقيم الاندماج والسلام والتسامح دون ارتباط فقهي أو تعبدي.

مؤتمر المغرب يُجسد التطبيق العربي الرسمي للتصوف:

- رعاية ملكية مباشرة.
- دعم الزوايا والمشيخات الصوفية.
- دمج التصوف في الهوية الدستورية للدولة.
- استثمار الصوفية في تعزيز الاستقرار ومواجهة الإسلام السياسي.

الرسالة السياسية المشتركة بين النموذجين: "نريد إسلامًا بلا مقاومة، بلا مطالب سياسية، بلا جهاد، بلا محاسبة"، والإسلام الصوفي المقدَّم هو إسلام منزوع الحدة، يخدم النظام أو الثقافة، لا الأمة أو المشروع الإسلامي.

الخطر الكامن: وهو اختزال الإسلام في التصوف يؤدي إلى تمييع المفاهيم العقدية والجهادية والحركية. وقد يخلق فراغًا دعويًا تستغله تيارات متطرفة لاحقًا لتأكيد أطروحاتها.

المحور الإعلامي:

الإعلام الصوفي: القنوات والبرامج والنسب المشاهدة، مثل:

1. (بريطانيا - صوفي Noor TV) وهي قناة تبث برامج دينية صوفية بالإنجليزية والأوردو، تشمل تلاوات، تفسيرًا للقرآن، وشرح المثنوي الرومي، ويعد من أشهر برامجها: جلسات تلاوة، محاضرات روحية، وإنشاد صوفي، كما أن نسبة المشاهدة: لا توجد بيانات رسمية دقيقة، لكن جمهور الإسلام الحضاري في بريطانيا يصل لمئات الآلاف شهريًا، ما يعني احتمالية كبيرة لتوسّع الجمهور الصوفي.(islamchannel.tv)
2. قناة (ARY Qtv باكستان -صوفي) أكبر قناة صوفية رقمية في باكستان، تقدم برامج دينية واجتماعية وروحية، وأشهر البرامج: محاضرات Pir Alauddin Siddiqui، إنشاد ومدائح، برامج تربية روحية، وتصل نسبة المشاهدة: أكثر من 3.28 مليون مشترك على يوتيوب، مع أكثر من 785 مليون مشاهدة إجمالية، وزيادة مستمرة شهريًا(vidiq.com) .
3. قنوات يوتيوب صوفية مثل "Sufi Voice TV" و "Sufi Guidance Channel" وتقدم محتوى مقتبسًا من التراث الصوفي باللغات المحلية مثل الأوردو والإنجليزية، وتركز على استشارات روحية، جلسات تعليمية، وإنشاد صوفي؛ كما أن جمهورها يتراوح بين 100 ألف إلى 250 ألف مشترك، مع تفاعل محدود لكنه متنامي.

4. قناة الإرث النبوي (عربية - متخصصة في السيرة النبوية والعلوم الشرعية)، والتي تأسست عام 2012، تبث برامج دينية تربوية واجتماعية تركز على السيرة النبوية والفضائل الإسلامية، ويعتبر من أشهر برامجها: "شباب الصحابة"، "مجلس الحديث"، و"طريق الجنة."، وتصل نسبة المشاهدة :أكثر من 213,000 مشترك على يوتيوب، وحوالي 29.8 مليون مشاهدة إجمالية.(vlogfund.com)

ملخص رقمي:

محتوى رئيسي	المشتركون (يوتيوب)	القناة
تفسير القرآن، إنشاد، مثنوي	(غير متوفر رسمياً)	**Noor TV**
محاضرات روحية، مدائح، برامج تربوية	3.28مليون	**ARY Qtv**
استشارات، إنشاد، تعليم	126k – 245k	**Sufi Voice & Guidance TV**
سيرة نبوية، علوم شرعية، فضائل	213k	**الإرث النبوي**

التحليل السياسي: الإعلام الصوفي كأداة استراتيجية لدعم التصوف برعاية غربية

دعم التصوف من الغرب - أساس استراتيجي:

1. تقارير مثل تقرير RAND Corporation (2007) بعنوان "Building Moderate Muslim Networks" وضحت بجلاء أن الغرب يرى في التصوف حصنًا ثقافيًا وروحيًا ضد الإسلام السياسي الذي يهدد الأمن القومي الغربي، وأداة فعالة لتشكيل "إسلام معتدل" متوافق مع القيم الغربية، مثل التسامح، الحداثة، وحقوق الإنسان، وأيضًا شبكة شعبية يمكن التحكم بها رقميًا عبر الإعلام والفنون.

هذا الدعم لا يقتصر على التمويل المباشر، بل يمتد إلى:

- تسهيل الوصول إلى المنصات الإعلامية.
- منح الشرعية الثقافية والروحية في أوروبا وأمريكا.
- الترويج الإعلامي المدروس عبر الفعاليات والمنصات الرقمية.

- القنوات الصوفية: واجهة الإعلام الناعم للتصوف المعتدل

2. **قناة " Noor TV و ARY Qtvو Sufi Voice TV و"الإرث النبوي" تمثل اليوم نقاط الاتصال الحيوية بين:**

- الجمهور الإسلامي في المهجر والمناطق ذات الحساسية السياسية.
- رؤية الغرب لإسلام قابل للانصهار في مجتمعاته، بعيدًا عن أي خطاب مقاوم.

تعمل على هذه القنوات:

- تصدير تصوف مخفف الأبعاد السياسية، مزيّن بالروحانية والإنشاد، بعيد عن خطابات الجهاد والمقاومة.
- تقديم الإسلام كتراث حضاري أكثر منه أيديولوجيا سياسية، ما يحد من تطرف الشباب ويقربهم من نمط الحياة الغربية.
- استقطاب جيل جديد عبر المحتوى الرقمي بوسائل جذابة ومعتدلة.

دور التمويل والشرعية:

وتعد غالبية القنوات تحصل على تمويل من مؤسسات غربية أو خليجية تدعم مشاريع "الإسلام الوسطي" ومكافحة التطرف، أو من جهات خيرية ذات صلة بالاستقرار السياسي في الدول الإسلامية والمهجر، وهذه القنوات تعمل بنوع من "الاستقلالية التوجيهية": تحظى بحرية نسبية داخل دائرة معينة، لكن ضمن إطار الأجندة التي تمنع الصدام أو النقاش السياسي الحاد.

توظيف الإعلام الصوفي ضمن "الحرب الثقافية"

يعتبر الإعلام الصوفي جزءًا من "الحرب الثقافية" التي تُشن ضد الإسلام السياسي الراديكالي، حيث يتركز الاستهداف على تغيير الذهنية أكثر من المعارك العسكرية المباشرة.

القنوات تبث رسالة "إسلام روحاني"، لا يستفز الغرب، ولا يدعو للمقاومة، ما يخلق حالة من التعايش مع الواقع السياسي العالمي.

الإعلام الصوفي يربط الجماهير بموروث ثقافي ديني "آمن" ويساعد في نزع الجاذبية عن خطاب الحركات السياسية الإسلامية.

الخطر والتحدي

الدعم الغربي المكثف للإعلام الصوفي قد يؤدي إلى تمييع الإسلام وابتعاده عن جوهره، ما يُحدث فجوة دعوية تُستغل لاحقًا من قبل تيارات متطرفة.

هذه الوسائل الإعلامية قد تتحول إلى أدوات "تسويق ديني" محكومة بسياسات الأمن القومي، أكثر من كونها حركات إصلاحية حقيقية.

صعوبة التمييز بين الدعوة الصوفية الروحية والدعم السياسي الموجه تجعل المشاهد أو المتابع غير مدرك للأبعاد الاستراتيجية الكامنة.

الخلاصة:

- الإعلام الصوفي الحالي ليس مجرد نشاط ديني أو ثقافي، بل أداة استراتيجية مدعومة وموجهة من الغرب للسيطرة على الخطاب الإسلامي العالمي وتحييد التيارات السياسية.
- القنوات والبرامج الصوفية تُستخدم لبناء "جمهور معتدل" يمكن دمجه بسهولة في النسيج الاجتماعي الغربي، مع استبعاد كل ما قد يُشكل تهديدًا سياسيًا أو أمنيًا.
- لا يمكن فهم هذا الإعلام بمعزل عن السياق الاستراتيجي العالمي، الذي يسعى إلى تجزئة الإسلام إلى "مذاهب" نافعة سياسياً وأمنياً، مع تصفية البقية أو إقصائها.

المحور الثاني: بريطانيا مركزًا دوليًا لدعم التصوف

(الخلفيات، الشواهد، والتحليل)

المقدمة:

لم يعد خافيًا على الباحثين في الشأن الديني والسياسي أنّ التصوّف بات يحظى برعايةٍ غربية متزايدة، ويُقدَّم اليوم على أنه "الإسلام المعتدل" الذي يُناسب القيم الغربية ويبتعد عن السياسة والمواجهة. وتُعد المملكة المتحدة - بريطانيا - من أبرز الدول التي تضطلع بدور محوريّ في رعاية هذا الاتجاه، ليس بوصفه ظاهرة دينية فحسب، بل كمشروع ثقافي وسياسي متكامل.

تهدف هذه الورقة إلى بيان الخلفيات الفكرية والسياسية لهذا الدعم البريطاني المتنامي، واستعراض الشواهد الواقعية عليه، وتحليل أبعاده وأهدافه.

أولًا: الخلفية السياسية والاستراتيجية

1. التقارير الغربية الرسمية

من أبرز الوثائق الداعمة للتصوف تقرير مؤسسة RAND الأمريكية (2007)بعنوان: "Building Moderate Muslim Networks" (بناء شبكات إسلامية معتدلة)

وقد أوصى التقرير صراحة بـ:

- دعم الصوفية السنية بوصفها غير سياسية وروحانية.
- تعزيز المراكز والمعاهد التعليمية الصوفية.
- تمكين الزوايا والفنون الصوفية مثل السماع والدراويش.
- استبدال الرموز السلفية والجهادية بمرجعيات صوفية "معتدلة.

مؤسسات أخرى:

مؤسسة توني بلير الإيمانية (Tony Blair Faith Foundation)دعت إلى دعم "الإسلام الروحاني" والفنون الصوفية كأدوات "سلام ديني."

مركز كارنيغي للسلام الدولي ووزارة الخارجية البريطانية: نشرت توصيات مشابهة حول توظيف الصوفية في الخطاب المعتدل وترويجها كواجهة للإسلام في الغرب.

ثانيًا: حضور التصوف في بريطانيا:

- المعاهد والمراكز الصوفية
  - معهد المدينة (برمنغهام)– Madina Institute
    - يديره الشيخ محمد النينوي.
    - يقدّم برامج في الحديث والعقيدة والتصوف.
    - يتبنّى خطاب "الإسلام الحُبّي الوسطي."
  - لندن– Rumi’s Cave
    - مركز ثقافي يُعنى بالشعر والموسيقى الصوفية.
    - بإشراف جهات قريبة من الشيخ بابكر أحمد بابكر.
    - يتلقى دعمًا رسميًا من بلدية لندن.
  - مؤسسة Sufi Way – UK :
    - تروج لخطاب التصوف الحداثي القائم على الفردانية والعرفان والنسبية الدينية.
    - تتبنى نموذج "الإسلام الشخصي المفتوح."
    - الفعاليات والأنشطة الصوفية المدعومة
  - مهرجان التصوف في غلاسكو - يوليو 2025
    - يُقام بدعم من:
    - Creative Scotland
    - Tramway Theatre
  - بلدية غلاسكو
    - يتضمن عروض دراويش، ورش فنون صوفية، وحوارات عابرة للأديان.
  - المؤتمر العالمي للتصوف - 19 يوليو 2025

يجمع بين الفكر الصوفي والفن والطقوس.

أبرز المشاركين:

- الشيخ محمد النعماني
- الشيخ بابكر أحمد بابكر
- الشيخة نوشين جول
- الشاعرة Sukina Noor

ثالثًا: لماذا بريطانيا تحديدًا؟

- إرث استعماري طويل

- خلال الاستعمار البريطاني للهند، تم دعم الطرق الصوفية كأدوات تهدئة ضد الحركات الإصلاحية والجهادية (مثل أهل الحديث).
- وفي مصر والسودان، استخدمت الإدارة البريطانية الولاءات الصوفية لضبط المجتمع المحلي.

البيئة القانونية والثقافية

- قانون "التعددية الثقافية "يتيح دعم المؤسسات الدينية غير السياسية.
- التصوف يُقدَّم كـ "إسلام غير عنيف" ينسجم مع القيم الليبرالية، مما يسهّل حصوله على تمويل من وزارات الثقافة والفن.

المصالح الأمنية

- ترى المؤسسات الأمنية في التصوف "إسلامًا مروّضًا" يسهل احتواؤه وتوجيهه.
- يُستخدم التصوف كجدار صدّ ناعم في مواجهة الإسلام السلفي أو السياسي.

رابعًا: الشواهد الإعلامية:

الإعلام البريطاني والصوفية:

- أنتجت BBC أكثر من 10 تقارير وثائقية خلال السنوات الأخيرة عن "روحانية التصوف."
- قناة 4 Channel وAl Jazeera English تسوّقان التصوف كواجهة "مُشرقة" للإسلام.

الصحافة المكتوبة:

جريدة The Guardian وThe Independent نشرتا تقارير متعددة عن:

- الصوفية كوسيلة مكافحة للتطرف.
- جلال الدين الرومي كرمز عالمي للسلام والتسامح.

- تقديم الدراويش على أنهم وجه الإسلام الذي "يحتاجه العالم.

خامسًا: التحليل السياسي والأمني

البُعد	التفسير
أيديولوجي	**بناء نسخة من الإسلام لا تُعارض القيم الغربية.**
ثقافي	**تحويل الإسلام إلى تجربة روحية فردية أو فن شعبي.**
أمني	**توظيف الصوفية كبديل ديني غير مهدِّد للأمن.**
إعلامي	**تسويق "إسلام رومانسي" يجذب الجمهور الأوروبي.**
استخباراتي	**بناء علاقات مع رموز التصوف لضمان ولاء طويل المدى.**

الخاتمة:

إن تصاعد التصوف في بريطانيا ليس انعكاسًا لتفاعل ديني حر، بل جزء من مشروع استراتيجي متعدد الأبعاد، تُستغل فيه المؤسسات الثقافية، الإعلامية، والدينية لترويج نموذج "معتدل" من الإسلام يخدم مصالح الهيمنة الثقافية والسياسية الغربية. على الناقد الواعي أن يرى في هذا الحضور الصوفي المُنمّط خطابًا يُراد له أن يُقدَّم كـ"الإسلام الذي يحتاجه الغرب"، لا "الإسلام الذي يعبّر عن ذاته."